

المحاضرة الأولى: التأصيل المفاهيمي للعلم والمعرفة والبحث العلمي

يُعد العلم والمعرفة والبحث العلمي من المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها تطور المجتمعات وتقدمها. فالإنسان منذ بداياته الأولى سعى إلى فهم ما يحيط به من ظواهر طبيعية واجتماعية، وحاول تفسيرها بطرق مختلفة. ومع تطور الفكر الإنساني، انتقل الإنسان من الاعتماد على التفسيرات البسيطة والعفوية إلى بناء معرفة منظمة تقوم على الملاحظة والتجربة والتحليل، وهو ما أدى إلى ظهور العلم والبحث العلمي.

ومن هنا، فإن فهم العلاقة بين العلم والمعرفة والبحث العلمي يساعد الباحث على إدراك طبيعة التفكير العلمي، وأهمية المنهجية في إنتاج المعرفة.

أولاً: مفهوم العلم

يُقصد بالعلم مجموعة منظمة من المعارف والحقائق والمفاهيم التي يتم التوصل إليها عن طريق الملاحظة والتجربة والتحليل، بهدف تفسير الظواهر وفهم العلاقات القائمة بينها.

فالعلم لا يقوم على الآراء الشخصية أو الانطباعات الذاتية، بل يعتمد على الأدلة والبراهين والمنهج المنظم. لذلك، فهو يسعى إلى الوصول إلى نتائج دقيقة يمكن اختبارها والتحقق منها.

ومن خصائص العلم أنه تراكمي، أي أن المعرفة العلمية لا تظهر دفعة واحدة، بل تتطور عبر الزمن من خلال جهود العلماء والباحثين. كما أنه قابل للتصحيح، لأن النتائج العلمية قد تتغير إذا ظهرت معطيات أو أدلة جديدة.

ثانياً: مفهوم المعرفة

المعرفة مفهوم أوسع من العلم، فهي تشمل كل ما يدركه الإنسان أو يكتسبه من معلومات وخبرات حول نفسه والعالم المحيط به. وقد تكون المعرفة ناتجة عن التجربة اليومية، أو التعليم، أو الملاحظة، أو التفكير، أو البحث العلمي.

وتنقسم المعرفة إلى عدة أنواع، منها المعرفة العامية أو العادية، وهي المعرفة التي يكتسبها الإنسان من حياته اليومية دون منهج علمي دقيق، مثل معرفة الإنسان ببعض العادات أو الظواهر من خلال التجربة الشخصية.

وهناك المعرفة الفلسفية، التي تقوم على التأمل العقلي وطرح الأسئلة الكبرى حول الوجود والحقيقة والقيم. أما المعرفة العلمية، فهي المعرفة التي تعتمد على المنهج العلمي، وتتميز بالدقة والتنظيم والموضوعية.

ثالثاً: الفرق بين العلم والمعرفة

رغم وجود علاقة وثيقة بين العلم والمعرفة، إلا أن هناك فرقاً بينهما. فالمعرفة أوسع من العلم، لأنها تشمل مختلف أشكال الإدراك والخبرة، سواء كانت علمية أو غير علمية.

أما العلم فهو نوع خاص من المعرفة، يتميز بأنه منظم ومنهجي وقابل للتحقق. فكل علم معرفة، ولكن ليست كل معرفة علمًا.

فعلى سبيل المثال، قد يعرف الإنسان من تجربته اليومية أن بعض الأطعمة تسبب له التعب، وهذه معرفة عادية. أما عندما تتم دراسة العلاقة بين الغذاء وصحة الإنسان وفق منهج علمي وتجارب دقيقة، فإننا نكون أمام معرفة علمية.

رابعاً: مدخل للبحث العلمي

1- تعريف البحث العلمي: هو نشاط علمي، منظم ومحدد، نقدي تطبيقي، يسعى إلى كشف الحقائق ومعرفة الارتباط بينهما، ثم استخلاص المبادئ العامة أو القوانين التفسيرية، أو هو التحقق المنظم في موضوع ما أو قضايا فرضية للكشف عن الحقائق أو النظريات وتطويرها، وهذا يعني أن ندرس، وأن نتحقق وأن نختبر، وأن نفحص من أجل تحقيق أهداف البحث العلمي عن طريق المناهج العلمية.

2. أهداف البحث العلمي:

- الكشف عن الحقائق وخصائصها
- الكشف عن العلاقات الارتباطية لهذه الحقائق وعناصرها
- السيطرة على حركة الحقائق التي تم اكتشافها ومعرفة خصائصها وعلاقاتها
- إمكانية التوقع بحركة هذه الحقائق أو مثيلاتها في إطار العلاقات المتجددة والمتغيرة

وفي هذا الإطار يمكن تعريف الدراسات الإعلامية أو البحث في مجال الإعلام بأنه:" النشاط العلمي المنظم للكشف عن الظواهر الإعلامية والحقائق المتصلة بالعملية الإعلامية وأطرافها، والعلاقات بينها وأهدافها، والسياقات الإجتماعية التي تتفاعل معها من أجل تحقيق هذه الأهداف، و وصف هذه الحقائق وتفسيرها".

يتميز البحث العلمي بعدة خصائص أساسية، من أهمها الموضوعية، أي أن الباحث يجب أن يتعد قدر الإمكان عن الأحكام الشخصية والميول الذاتية، وأن يعتمد على الأدلة والوقائع.

كما يتميز بالدقة، لأن الباحث مطالب بتحديد مفاهيمه وأدواته وخطواته بوضوح. ويتميز أيضًا بالتنظيم، لأنه لا يتم بطريقة عشوائية، بل وفق مراحل وخطوات محددة.

ومن خصائصه كذلك القابلية للتحقق، أي إمكانية مراجعة النتائج أو اختبارها من طرف باحثين آخرين. كما أن البحث العلمي تراكمي، لأنه يستفيد من الدراسات السابقة ويساهم في تطوير المعرفة.